
المنظومة
ALMANDUMAH


المنظومة
ALMANDUMAH

الأسرة السعودية في زمن الكورونا
ما بين المحن والمنح

علي عبد الله القحطاني

ماجستير في علم الاجتماع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك عبد العزيز

الأسرة السعودية في زمن الكورونا ما بين المحن والمنح

على عبد الله القحطاني (*)

تسببت جائحة فيروس كورونا المستجد "كوفيد-١٩" في إحداث اضطراب هائل وتعطيل لسير الحياة في جميع دول العالم، ومن ذلك إغلاق المدارس والشركات والأعمال التجارية وبعض مجالات العمل عن بُعد، فضلاً عن خفض الوظائف أو تقليصها في قطاعات أخرى. كما أدت إلى فرض العديد من القيود على السفر الدولي والداخلي، وحظر التجمعات العامة كبيرة العدد، وإلى إلغاء أو إرجاء انعقاد المؤتمرات الرئيسة وحفلات التخرُّج وغيرها من المناسبات والفعاليات المجتمعية، ولكن تأبى الحياة إلا أن تستمر أنشطتها وأحداثها المعتادة على الرغم من كل هذه الاضطرابات .

ويُعد فيروس كورونا المستجد "كوفيد-١٩" من أكبر المِحن التي يمر بها العالم منذ ظهور أول إصابة به في الصين في شهر نوفمبر ٢٠١٩م وحتى الآن، حيث بلغ حجم الإصابات في العالم حتى الأول مايو ٢٠٢٠م ما يقارب ٥.٣ مليون إصابة تعافى منهم ما يقارب المليون نسمة، وتوفى منهم ما يقارب ٢٣٠ ألف نسمة حول العالم، وعكف العالم أجمع الآن على اكتشاف دواء أو لقاح لمعالجة المصابين والوقاية منه، وعلى الرغم من ذلك يوجد ما يدعو إلى التفاؤل - مع عدم التهاون في التعامل مع تلك الأزمة- وهو انحسار انتشار الفيروس في العديد من الدول، مثل: الصين والأردن، وانخفاض عدد الإصابات والوفيات اليومية في بعض الدول، مثل : إسبانيا وإيطاليا، فمن المِحن تأتي المنح حيث أظهرت هذه المِحنة وجود بنية تحتية تكنولوجية قوية في العديد من الدول قادرة على التعامل مع مثل تلك الأزمات في كافة القطاعات من

(*) ماجستير في علم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الملك عبد العزيز .

تعليم وصحة وغيرهم من القطاعات الخدمية والاقتصادية، ومن الجدير بالذكر أنه يوجد ثلاثة سيناريوهات عالمية متوقعة للسيطرة على هذا الفيروس المستجد وهي :

- السيناريو الأول : والأكثر تفاؤلاً انتهاء الفيروس بانتهاء العام المالي ٢٠١٩/٢٠٢٠م .
- السيناريو الثاني : والمتفائل ينتهي الفيروس بنهاية عام ٢٠٢٠م .
- السيناريو الثالث : والأكثر تشاؤمًا أن الفيروس قد يستمر لفترة أطول من ذلك .

وأيًا كان السيناريو المحتمل فإن على دول العالم وفي ظل التطور التقني الحادث في عالم اليوم عليها أن تتعايش وتتكيف مع كافة الظروف؛ لتسيير أمور الحياة بشكل شبه طبيعي بدلاً من التوقف التام، وما قد يترتب عليه من خسائر وآثار اقتصادية واجتماعية وتربوية وتعليمية .

ولما كانت الأُسرة تُشكّل ركنا أصيلاً تنبني عليه المجتمعات الخليجية، فقد بذلت دول الخليج جهودًا حثيثة للتركيز على أولوية إتاحة الفرص اللازمة للأُسر خلال هذه الأزمة، ويُمكن القول بأن الأُسر هي أكثر الأنماط الاجتماعية القادرة على الصمود والتأقلم في عالم البشر؛ لهذا بادرت حكومات دول الخليج العربي إلى اغتنام الفرص السانحة للتأكيد على أهمية استقرار الأُسر في المجتمع، فضلاً عن مواءمة خدماتها في سبيل مؤازرة الأُسر ودعمها في ظل هذه الأزمة الراهنة والتأقلم مع الأوضاع الراهنة والتكيف معها؛ بغية دعم الأُسرة التي تراها ركيزة أساسية في قوام المجتمع الخليجي، علاوةً على استغلال الأزمة الحالية كفرصة سانحة لدعم المُثل والقِيم والأُسس التي تقوم عليها الأُسر القوية المستقرة .

ومن ثم تظل الأسرة من الركائز الأساسية التي ينبني عليها قوام المجتمع في منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي؛ لهذا تؤكد السياسات

والقرارات الحكومية على أهميتها، وعليه أكدّت الوزارات والجهات الحكومية في جميع دول مجلس التعاون المعنية بدعم رفاه الأُسر العربية والنهوض بها على إمكانية بناء العلاقات والمشاركات الأُسرية الإيجابية أثناء ملازمة المنازل بسبب الأزمة الراهنة؛ فعقب إغلاق كافة أماكن التجمّعات العامة – بما في ذلك المتنزهات والملاعب – ومع تعليق الدراسة وبقاء الأطفال في منازلهم وتسيير أولياء الأمور أعمالهم عن بُعد، صار أفراد الأُسر الآن قابعين معًا طيلة الوقت. وفي سياق كهذا تسلّط العديد من القصص الإخبارية الضوء على الآثار الإيجابية المتوخاة من زيادة مشاركة الأُسر وتوطيد الروابط بين أفرادها .

فعلى سبيل المثال ونظرًا للأهمية المحورية التي تعتليها الأُسرة والزواج في المجتمعات الخليجية، فليس بمستغرب إذن أن تبادر بعض الدول إلى تيسير الزواج حتى مع اتخاذ الإجراءات الصارمة التي تحتّم البقاء في المنزل في الوضع الراهن، وفيما يظهر أن الإمارات العربية المتحدة قد أحرزت السبق في توفير غالبية خدماتها الحكومية إلكترونيا وعبر الإنترنت؛ ومن ذلك تَوّلي وزارة العدل الإماراتية مهمة إتمام إجراءات عقود الزواج بجميع مراحلها على مستوى الدولة، مع إتاحة خدمة الزواج الإلكتروني منذ منتصف أبريل ٢٠٢٠م للراغبين في إتمام إجراءات الزواج .

كما أعلنت وزارة العدل السعودية في أوائل مايو عن إتمام عدد ٥٤٢ عقد زواج عن بُعد عبر بوّابة " ناجز " من خلال خدمة " العقد الإلكتروني للزواج " ؛ وتهدف هذه الخدمة التي أطلقتها الوزارة في أبريل ٢٠١٩م واتسع نطاقها منذ ذلك الحين إلى تسهيل إتمام إجراءات عقود النكاح واعتمادها من الوزارة دون وجوب حضور المستفيدين لمراجعة مكاتب الوزارة أو فروعها، وتتيح الخدمة للمستفيدين أيضًا إمكانية التحقق من الفحص الطبي السابق للزواج دون الحاجة إلى مراجعة المستشفى، وكذلك مراجعة الشروط قبل

تحديد الموعد وتسجيل الزواج إلكترونيًا، بالإضافة إلى تسجيل واقعة الزواج إلكترونيًا لدى الأحوال المدنية .

كما قام مجلس شؤون الأسرة في السعودية وهو أحد القطاعات الرسمية في المملكة بإطلاق مبادرة «الأسرة أولاً» الهادفة إلى توعية الوالدين العاملين، من خلال مجموعة من الإرشادات العامة المتخصصة في مناحي الحياة، للإسهام في تنظيم البرنامج الزمني داخل المنزل ، حيث تسعى المبادرة إلى تحقيق التوازن بين الالتزامات الوظيفية والواجبات الأسرية، وتعريفهم بأفضل الأساليب والمهارات التي تساعدهم في هذا الجانب؛ من أجل تخفيف الآثار الاجتماعية على الأسرة التي فرضتها الإجراءات الاحترازية للوقاية من جائحة كورونا .

وتعمل المبادرة على تحقيق عدد من الأهداف الرئيسية تتمثل في نشر الوعي المجتمعي بأهمية الأسرة، والتأكيد على أهمية دور الوالدين المنوط بهم للمحافظة على تماسك الأسرة لتجاوز أزمة كورونا، وإرشاد الوالدين على أفضل الأساليب التي تساعدهم على القيام بواجباتهم الأسرية والعملية، وتشجيعهم على توعية الأبناء بأهمية تطبيق الإجراءات الاحترازية للحفاظ عليهم من الإصابة بالفيروس .

وتأتي هذه المبادرة في سياق الجهود التي يقوم بها المجلس في توعية الأسرة بكل مكوناتها في كل مناحي الحياة وعلى رأسها الوالدان؛ من أجل تمكينهم من تجاوز أزمة كورونا والتغلب على آثارها المتوقعة بما يُعزز تماسك الأسرة والحفاظ على كيانها لتقوم بدورها في المجتمع على أكمل وجه. حيث تعمل مبادرة «الأسرة أولاً» على بثّ رسائل إعلامية توعوية لتحقيق أهداف المبادرة وتعميق أثرها من خلال وسائل الإعلام، والمنصات الرقمية للمجلس والشركاء في تنفيذها، إذ تأتي بالشراكة مع عدد من الجهات الحكومية والخاصة، إضافة للجهات التي تقدم خدماتها للأسرة بكل مكوناتها. كما تعمل المبادرة على حثّ الوالدين على استثمار أوقاتهما بعد الانتهاء من

أداء حصة العمل الرسمي (عن بُعد) بشكل مثالي، والاستفادة من البرامج التدريبية لاكتساب عدد من المهارات لهم ولأبنائهم، والتركيز على توعية الوالدين بأهمية التخطيط الأسري الجيد، وتكامل الأدوار بينهما بما يُحقّق أهدافهما الأسرية والعملية ويحفظ كيان الأسرة، إضافة إلى تزويد الآباء والأمهات بأهم الخدمات والتطبيقات التي يحتاجون إليها لتوفير متطلبات الأسرة في ظل الإجراءات الاحترازية لمنع انتشار فيروس كورونا، ومنها التباعد الاجتماعي ومنع التجول الكلي والجزئي .

وبالرغم من أن فيروس كورونا قد تسبب في وجود حالة من الهلع والخوف والرعب ليس في مجتمعنا السعودي فقط بل في دول العالم إلا أن له انعكاسات اجتماعية وتداعيات أسرية حميدة، وعلى الرغم من خطورته على الصحة العامة للمواطنين إلا أن هذا الفيروس قد نجح في إعادة روح التآلف والتلاحم بين أفراد الأسر السعودية والتي كانت بعضها تعيش حالة من اللاتوازن بسبب شدة رياح التغيرات الاجتماعية والتحولات الاقتصادية والتحديات الثقافية، خاصة مع بروز وظهور شبكات التواصل الاجتماعية التي تسببت في رفع سقف العزلة الاجتماعية والتباعد الأسري؛ الأمر الذي أسهم في غياب روح التلاحم الأسري والتضامن المنزلي، وتأصيل مبدأ الترابط والتقارب بين أفراد الأسرة ؛ ولذا كانت التعليمات الوقائية والتدابير الاحترازية التي اتخذتها حكومتنا الرشيدة - أعّزها الله - للحد من انتشار عدوى فيروس كورونا الجديد ليس فقط لتحافظ على صحة وسلامة الأسرة السعودية ومن يُقيم على أرض الوطن، بل ساعدت أيضًا على إعادة روح التلاحم وقِيم الترابط بين أفراد الأسرة من جديد، فأصبحت الأسر بمنازلها في وقت واحد وسط أجواء اجتماعية صحية كادت أن تندثر تغمرها المشاعر الإيجابية من خلال إعادة ترتيب الجوانب التربوية والحقوقية والحوارية والقِيمية في بيئتهم الحقيقية، وليست الافتراضية بين الأبناء والوالدين داخل البناء الأسري بعد أن فقدت الأسرة الكثير من المعاني وقِيمها السامية التي

كانت تجتمع حولها، ومن المؤكد أن الاجتماع الأسري على طاولة الطعام التي كانت شبه غائبة قبل دخول هذا الفيروس لمجتمعنا السعودي والعربي له فوائد عدة، وانعكاسات إيجابية في استقرار الكيان الأسري تربويًا ووجدانيًا ونفسيًا وسلوكيًا واجتماعيًا، ومعروف وطبقًا للدراسات الاجتماعية الحديثة فإن اجتماع الأسرة على المائدة ولو مرة واحدة في اليوم يؤصل روح المودة والمحبة، ويرفع مؤشر لغة الحوار المنزلي في قالبه الإيجابي، ويُنمي المشاعر الوجدانية، ويحقق التوازن النفسي والانفعالي والسلوكي، ويُعزز من قِيم الوعي في نفوس ووجدان الأبناء ، فضلاً عن تعويد الأطفال على أهمية وجود وقت للأسرة، وبالتالي يُزيد من ارتباطهم بمفهوم الأسرة التي تُشكل الأمان والحصن والاطمئنان للفرد ، وكذلك زيادة شعور الأطفال بالمسؤولية تجاه وجودهم كأفراد ضمن هذه الأسرة، وارتباط الأخوة ببعضهم البعض .

وعلى الجانب الآخر فقد سلّطت ندوة افتراضية نظمها منتدى أسبار الدولي بعنوان : " التأثيرات الاجتماعية لجائحة كوفيد-١٩" الضوء على تأثير فيروس كورونا على مستقبل العلاقات داخل العائلة الواحدة وفي المجتمع وكيف ستصبح العلاقات بين الشعوب بعد كورونا، إضافة إلى برامج الرعاية الاجتماعية، ودورها في تقليص الآثار السلبية لفيروس كورونا، وذلك بمشاركة خمسة من الخبراء والمختصين حيث أوضحوا أنه على مستوى الأسرة، فإن الظروف التي فرضتها كورونا من التلاحم والتكاتف والتقارب الذي كانت تعيشه خلال فترة الحجر أثر فيها إيجابيًا وسيزيدها تلاحمًا، لكن هناك في المقابل بعض الأسر التي شعرت بالملل من كثرة وجود أفردها مع بعض؛ مما يجعلها تريد أن تنطلق وتغادر المجال الأسري بمجرد انتهاء تلك الظروف، أما على المستوى المهني فإن بعض الموظفين يشعرون بأن لديهم طاقة وفعالية ونشاطًا بعد البطالة والخمول الذي عاشوه خلال فترة بقائهم في المنزل حتى وإن كانوا يمارسون عملهم عن بُعد يريدون استغلالها في أعمالهم بعد العودة، وفي المقابل هناك بعض آخر من

الموظفين يمكن أن يتعود على الخمول فيعود إلى عمله بوضع ليس أفضل من ذي قبل .

وتوقع المشاركون في تلك الندوة أن تنطلق الناس بعد فك الحظر انطلاقة فوضوية للتعبير عن الذات والانتقام من الانضباط المنزلي والانفلات من داخل أسوار محددة تفرض عليه قيود معينة، وأوضح المشاركون أن الرعاية الاجتماعية تشمل بمفهومها الواسع مجموعة من الخدمات والبرامج التي تقدمها الدولة لمواطنيها في ظل هذه الجائحة فإنه موجود ومستمر، بل إنه زاد بشكل كبير وفاعل خلال تلك الأزمة وهي جهود تُشكر الدولة عليها، بالإضافة إلى أنه بالتزامن مع جهود الدولة فإن الجمعيات والمؤسسات الخيرية بذلت جهودًا لدعم جهود الدولة في مكافحة فيروس كورونا والحدّ من انتشاره، ولكن ينقصها التنسيق والتكامل فيما بينها .

وقد أكد المشاركون في نهاية تلك الندوة الافتراضية إنه خلال هذه الظروف ينبغي التركيز على الفئات الأكثر تضررًا، أو ما تُسمى بالفئات الأقل حظًا، مثل: المُسنين والأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة والمرضى العقليين والنفسيين، والأسر الفقيرة والأقل دخلاً والمرأة ؛ لأن جميع هذه الفئات تكون الأكثر تضررًا عندما تحدث أي أزمة أو كارثة .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن هناك أخطار وتبعات أخرى للجائحة والتي قد تكون خافية عنا، فبينما يلتزم الناس بالبقاء في منازلهم وإتباع التباعد الجسدي والاجتماعي وغسل اليدين بالماء والصابون عدة مرات في اليوم؛ للوقاية من عدوى الفيروس تُشكل هذه الإجراءات في حد ذاتها خطرًا على حياة بعض الناس وصحتهم ومشكلة كبيرة للتقيد بها. فكما الحال في كل الأزمات تتأثر الفئات الهشة في المجتمع بشكل مُضاعف، ومما لا شك فيه أن التداعيات الاقتصادية لأزمة كورونا من بطالة أو انخفاض في الدخل، وما يصاحب ذلك من قلق حول المستقبل قد شكلت ضغوطًا على

الأسـر خاصــة الفقيـرة منهـا، وذلـك بعـد أن أصـبح المنـزل فجـأة هـو روضـة الأطفـال والمدرسـة ومكـان العمـل ومكـان الترفيـه، ووجـود كـل أفـراد الأسـرة داخـل هـذا المنـزل طـوال الوقـت، بالإضـافة إلـى ربمـا وجـود مـن هـم مرضـى أو كبـار في السن أو ذوو إعاقة بحاجة إلى رعاية واهتمام خاص .

ولقـد أكـدت حقوقيـات خليجيـات خـلال الحلقـة النقاشـية التـي نظمتهـا لجنـة المـرأة والطفـل بجمعيـة الحقـوقيين البحرينيـة حـول قـضايا الأسـرة فـي ظـل جائحـة كورونـا أن حائجـة كورونـا أظهـرت إلـى الـسطح كـل الخلافـات والمـشاكل الأسـرية التـي كانـت مخفيـة قبـل الجائحـة؛ ممـا تـسبب فـي ارتفـاع معـدلات العنـف الأسـري وفـي زيـادة قـضايا الطـلاق والعنـف ضـد المـرأة التـي وصـلت إلـى حـد جـرائم القتـل فـي بعـض الحـالات، إلا أن قـضايا الأسـرة فـي الـسعودية كانـت أكثـر سلاسـة فـي فتـرة جائحـة كورونـا حيـث أن الأنظمـة التـي صـدرت خـلال الـسنوات الخمـس الأخيـرة سـاعدت فـي مواجهـة الكثيـر مـن تلـك المشكلات الأسرية .

وبـالنظر إلـى دور المـرأة الـسعودية فـي الأسـرة والمجتمـع والتـي تقـوم بـدور رئيـسي فـي التحـول الاجتمـاعي والاقتـصادي فـي إطـار رؤيـة ٢٠٣٠م، حيـث تنفـذ حكومـة المملكـة العربيـة الـسعودية برنامجًـا واسـعًا لإصـلاح أوضـاع المـرأة حظـي بتقـدير دولـي، وقـد احتـل البرنـامج المرتبـة الأولـى علـى مـستوى دول مجلـس التعـاون لـدول الخلـيج العربيـة والثانيـة علـى مـستوى العـالم العربـي فـي تقريـر المـرأة وأنـشطة الأعمـال والقـانون الـصادر عـن البنـك الـدولي ٢٠٢٠ (فيمـا يتعلـق بـاثني عـشر برنامجـا يتعلـق بـالمرأة) ، وعلـى الـرغم ممـا تـم إنجـازه حتـي الآن مـن تلـك البـرامج الطموحـة تجـاه المـرأة الـسعودية إلا أنـه لا تـزال هنـاك تحـديات عديـدة قائمـة، فنـصف الـشابات الـسعوديات لا يعملـن ولا يتلقـين أي قـدر مـن التعلـيم أو التـدريب ، ولـيس بوسـع جميـع النـساء العثـور علـى عمـل وخاصـة الباحثـات عـن عمـل لأول مـرة حيـث بلـغ معـدل البطالة بين النساء ٣٠.٨٪ عام ٢٠١٩م.

هــذا ويهــدد تفــشي جائحــة فيــروس كورونــا وانخفــاض أســعار الــنفط مـا تحقق مـن تقـدم حتـى الآن، فقـد أدى انخفـاض النمـو الاقتـصادي إلـى تـسريح الكثيـر مـن العـاملين وزيـادة مجمـوع العـاطلين عـن العمـل، ونظـرًا لأن غالبيـة النـساء العـاطلات عـن العمـل لا يملكـن خبـرة عمليـة، أو لـم يحـصلن علـى تـدريب، فسيـصبحن فـي وضـع غيـر مـواتٍ عنـدما يتنافـسن مـع الـسعوديين الآخـرين مـن الرجـال والنـساء مـن غيـر البـاحثين عـن عمـل لأول مـرة، والـذين تـم تـسريحهم بـسبب الأزمـة القائمـة. وسـتزيد هـذه الأزمـة مـن التحـديات التـي تواجـه الباحثات عن عمل لأول مرة وقد تعطل دخولهن إلى سوق العمل .

هـذا ولقـد حـذرت تقـارير لمنظمـات دوليـة عـدة مـن وقـوع كارثـة إنـسانية جـراء فيـروس " كوفيـد- ١٩ " وانعكاسـاته الاقتـصادية وتوقعـات بتفـاقم أعـداد المُهـددين بالبطالـة والفقـر والمجاعـة علـى مـستوى العـالم، خاصـة وأن عـودة دوران عجلـة الاقتـصاد بـشكل سَّـلس سـتأخذ وقتًـا واقتـصادات العـالم مرتبطـة بـبعض، وتعمــل الــدول جميعهــا فــي الاســتجابة للجائحــة علــى التــصدي للتـداعيات الاقتـصادية والتحـديات الـصحية مـع إيجـاد نـوع مـن التـوازن بـين المـصلحة الاقتـصادية والرعايـة الـصحية، خاصـة وأنـه لـم يـتم اكتـشاف عـلاج فعـال بعـد أو لقـاح لهـذا الفيـروس -كلهـا فـي المراحـل التجريبيـة- ممـا يعنـي اسـتمرار حالـة الحـذر وإتبـاع الإجـراءات الاحترازيـة فتـرة مـن الـزمن حتـى بعـد السماح بعودة الأعمال .

فـضلاً عـن إعـلان الحكومـة الـسعودية عـن عـدد مـن الإجـراءات التقـشفية التـي تـستهدف حمايـة اقتـصاد المملكـة لتجـاوز أزمـة جائحـة كورونـا العالميـة غيـر المـسبوقة، تلـك الإجـراءات الراميـة إلـى تـوفير مـا يقـرب مـن ١٠٠ مليـار ريال ســعودي لمواجهــة التــداعيات الاقتــصادية لجائحــة كورونــا؛ الأمــر الــذي ســينعكس سـلبًا فئــة عريـضة مـن الأسـر الـسعودية، وكـان مـن أبـرز تلـك الإجـراءات هـو وقـف صـرف بـدل غـلاء المعيـشة للمـواطنين اعتبـارًا مـن شـهر يونيـو ٢٠٢٠م، والــذى كـان يـتم صـرفه لمـساعدة المـواطنين علـى ملائمـة

المتغيرات الاقتصادية الجارية اتساقًا مع رؤية ٢٠٣٠م، ومن ضمن تلك الإجراءات التقشفية رفع نسبة ضريبة القيمة المضافة من ٥% إلى ١٥% بداية من شهر يوليو ٢٠٢٠م، خاصة بعد تلقى الاقتصاد السعودي ثلاث صدمات بسبب جائحة كورونا :

- أولها انخفاض أسعار النفط إثر انخفاض الطلب العالمي عليه بسبب إجراءات الإغلاق؛ مما أسفر عن انخفاض كبير في إيرادات الدولة .
- ثانيها: توقف أو انخفاض كثير من الأنشطة الاقتصادية المحلية ؛ ما انعكس بالسلب على حجم الإيرادات غير النفطية والنمو الاقتصادي .
- ثالثها: زيادة الاعتمادات المالية لقطاع الصحة؛ لدعم القدرة الوقائية والعلاجية ضد الوباء، إضافة إلى اعتماد عدد من المبادرات لدعم الاقتصاد وتخفيف أثر الجائحة، والمحافظة على وظائف المواطنين .

وعليه فمن المهم أن تشمل خطة الاستجابة الوطنية على الجانب الاجتماعي، وذلك بزيادة وعي المجتمع بالمخاطر والعمل على تعزيز دور الأسرة في التعامل مع الظروف الحياتية الجديدة، ودعم وحماية الفئات الهشة من النساء والأطفال وكبار السن وذوي الاحتياجات الخاصة التي بحاجة إلى رعاية، وذلك بتوفير الآليات والسُبل المناسبة للتواصل مع المختصين سواء عبر الخط الساخن أو التطبيقات الإلكترونية أو غيرها من الطرق المبتكرة وتفعيل دور المجتمع المدني، ومن جهة أخرى الحذر من التطبيقات الإلكترونية التي أصبحت الملاذ والوسيلة لممارسة جميع الأعمال والاتصالات اليومية تقريبًا .

وبالإضافة إلى ما سبق فقد تسببت جائحة فيروس كورونا-COVID) (19 في انقطاع أكثر من ١.٦ مليار طفل وشاب عن التعليم في ١٦١ دولة، أي ما يقرب من ٨٠% من الطلاب الملتحقين بالمدارس على مستوى العالم، كما بلغ عدد المعلمين والمدرسين المنقطعين عن الذهاب إلى عملهم قرابة

٦٠.٢ مليـون شـخص، وفـق إحـصائيات اليونـسكو فـي مـارس ٢٠٢٠م، وجـاء ذلـك فـي وقـت نعـاني فيـه بالفعـل مـن أزمـة تعليميـة عالميـة، فهنـاك الكثيـر مـن الطـلاب فـي المـدارس لكـنهم لا يتلقـون فيهـا المهـارات الأساسـية التـي يحتاجونهـا فـي الحيـاة العمليـة، حيـث يُظهـر مؤشـر البنـك الـدولي عـن "فقـر الـتعلُّم أو نـسبة الطـلاب الـذين لا يـستطيعون القـراءة أو الفهـم فـي سـن العاشـرة" أن نـسبة هـؤلاء الأطفـال قـد بلغـت فـي البلـدان منخفـضة ومتوسـطة الـدخل قبيـل تفـشي الفيـروس ٥٣%، وإذا لـم تبـادر الـدول إلـى التـصرف بخـصوص هـذا فقـد تُفـضي هـذه الجائحة إلى ازدياد تلك النتيجة سوءًا .

ولعـل مـن الآثـار المباشـرة التـي تعـود علـى الأطفـال والـشباب تبعًـا لهـذه الجائحـة أمـور عـدة تُثيـر لـدى العـالم أجمـع القلـق فـي هـذه المرحلـة مـن الأزمـة، ومـن تلـك التبعـات والآثـار: خـسائر الـتعلّم، وزيـادة معـدلات التـسرب مـن الدراسـة، وانعـدام المـساواة فـي الـنُظم التعليميـة التـي تعـاني منـه معظـم البلـدان، ولا شك أن تلك الآثار السلبية ستصيب الأطفال الفقراء أكثر من غيرهم .

كمـا سـيؤدي التـأخر فـي بـدء العـام الدراسـي أو انقطاعـه إلـى حـدوث اضـطراب كامـل فـي حيـاة العديـد مـن الأطفـال وذويهـم ومعلمـيهم، وهنـاك الكثيـر ممـا يُمكـن عملـه للحـد مـن هـذه الآثـار علـى الأقـل، وذلـك مـن خـلال اسـتراتيجيات الـتعلُّم عـن بُعـد، وتعـد البلـدان الأكثـر ثـراء أفـضل اسـتعدادًا للانتقـال إلـى اسـتراتيجيات الـتعلُّم عبـر الإنترنـت، وإن اكتنـف الأمـر قـدر كبيـر مـن الجهـد والتحـديات التـي تواجـه المعلمـين وأوليـاء الأمـور، ولكـن الأوضـاع فـي كـل مـن البلـدان متوسـطة الـدخل والأفقـر ليـست علـى شـاكلة واحـدة ، وإذا لـم يـتم التـصرف علـى النحـو المناسـب ، فـإن ذلـك الانعـدام فـي تكـافؤ الفـرص سـيزداد تفاقمًـا، فالعديـد مـن الأطفـال لا يملكـون مكتبًـا للدراسـة، ولا كتبًـا، فـضلاً عـن صـعوبة اتـصالهم بالإنترنـت ، أو عـدم امـتلاكهم للحواسـيب المحمولـة فـي المنـزل، بـل هنـاك مـنهم مـن لا يجـد أي مـسـاندة مـن آبـائهم علـى النحـو المـأمول فـي حـين يحظـى آخـرون بكـل مـا سـبق؛ لـذا يتعـين تفـادي اتـساع هـذه

الفوارق في الفرص أو تقليلها ما أمكن وتجنب ازدياد الآثار السلبية على تعلم الأطفال الفقراء .

وينتاب الكثير من وزارات التعليم بمختلف دول العالم قلق له ما يبرره من الاعتماد على الاستراتيجيات المستندة إلى الإنترنت دون غيرها، وبالتالي لا يجني ثمرتها إلا أبناء الأسر الأفضل حالاً، وتتمثل الاستراتيجية المناسبة لأكثرية الدول في استخدام جميع الوسائل الممكنة التي توفرها البنية التحتية الحالية في إيصال الخدمة، فيُمكن استخدام أدوات الإنترنت في إتاحة مخططات الدروس، ومقاطع الفيديو، والدروس التعليمية، وغيرها من الموارد لبعض الطلاب، ولأكثر المعلمين على الأرجح، والاستعانة بالمدونات والتسجيلات الصوتية والموارد الأخرى التي تستهلك قدرًا أقل من البيانات، وينبغي العمل مع شركات الاتصالات على تطبيق سياسات تُعفي المستخدمين من الرسوم؛ لتيسير تنزيل مواد التعلُّم على الهواتف الذكية التي يحملها أكثر الطلاب .

وأمام جميع الأنظمة التعليمية مهمة واحدة ألا وهي التغلب على أزمة التعلُّم التي نشهدها حاليًا، والتصدي للجائحة التي نواجهها جميعًا، والتحدي الماثل اليوم يتلخص في الحد من الآثار السلبية لهذه الجائحة على التعلُّم والتعليم المدرسي ما أمكن، والاستفادة من هذه التجربة للعودة إلى مسار تحسين التعلُّم بوتيرة أسرع ، ويجب على الأنظمة التعليمية مثلما تفكر في التصدي لهذه الأزمة أن تفكر أيضًا في كيفية الخروج منها وهي أقوى من ذي قبل، وبشعور متجدد بالمسؤولية من جانب جميع الأطراف الفاعلة فيها، وبإدراك واضح لمدى إلحاح الحاجة إلى سد الفجوات في فرص التعليم، وضمان حصول جميع الأطفال على فرص تعليم جيد متساوية .

وانطلاقًا من الدور التي تقوم به منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) في مجال التعليم والتدريب فقد حصرت الآثار التي يمكن أن تترتب على إغلاق المدارس حول العالم فيما يلي: توقف التعليم والتعلّم،

العزلة الاجتماعية، الحرمان من التغذية، صعوبة توفير تعليم بديل في المنزل بسبب عدم استعداد أو قدرة الأهل على القيام بذلك في المنزل، عدم المساواة في إمكانية الانتفاع بمنصات التعلّم الرقمية، التفاوت في رعاية الأطفال، التكلفة الاقتصادية الباهظة على الأهالي بسبب وجود الأطفال في المنازل، الضغط غير المتوقع على نظام الرعاية الصحية، ازدياد الضغط على المدارس التي لا تزال مفتوحة، عدم وضوح الرؤية فيما يتعلق بمدة التوقف عن الدراسة .

وفي ظل إغلاق المدارس والجامعات وفي محاولات للتغلب على آثار ذلك، انصب التركيز على اللجوء في الاستفادة من التكنولوجيا وآليات التعلّم عن بُعد من خلال منصات التعلم الرقمية، والدروس الافتراضية المقدمة عن طريق الشبكات الاجتماعية والإنترنت، وإعداد مواد دراسية خاصة يتم بثها من خلال تلك المنصات وغيرها من أدوات التعلم الإلكتروني والتعلم عن بُعد؛ لتحقيق التواصل بين المعلمين والطلاب من خلال تلك المنصات .

وتشير الأبحاث والدراسات إلى أن تحويل ساعة صفية واحدة من النظام التقليدي إلى النظام الإلكتروني تستغرق من الوقت ما يزيد عن عشرات الساعات الفعلية يقوم بها المعلم؛ لذلك فإن الحديث عن أن هناك خطة بديلة لنقل التعليم الصفي إلى التعليم عن بُعد في حال انتشر وباء فيروس كورونا يستلزم من صانعي القرار الخاص بذلك الوعي بمداخل ومخارج التعليم الإلكتروني، والمتطلبات اللازمة لنجاحه وتحقيق أهدافه اعتمادًا على النظريات الحديثة في تصميم المواد للتعليم الإلكتروني .

وفى هذا الإطار قدمت منظمة اليونسكو العديد من التوصيات لضمان نجاح عملية التعلّم عن بُعد خلال فترة إغلاق المدارس وانقطاع الدراسة بها ولعل من أبرزها: التأكد من الجاهزية لتقديم التعليم عن بُعد وتوافر متطلبات ذلك، التأكد من إدماج كل أطراف العملية التعليمة في برامج التعليّم عن بُعد، ضمان حماية خصوصية البيانات وأمنها أثناء التعليم عن بُعد، التأكد من

وجود حلول لمعالجة المشكلات النفسية والاجتماعية ، الاتفاق على البرنامج الذي سيتم اختياره من برامج التعليم عن بُعد ، توفير التدريب اللازم للمعلمين والأهل بشأن استخدام الأدوات التعليم عن بُعد ، الاتفاق على قواعد للتعلّم عن بُعد ورصد عملية تعلّم الطلاب، الاتفاق على مدة جلسات التعلّم عن بُعد، تشكيل مجموعات وتعزيز التواصل من خلال شبكات التواصل الاجتماعي .

والواقع أن الأخذ بهذا التوجه يمكن أن تواجهه العديد من التحديات، الأمر الذى يتطلب ضرورة العمل على مواجهتها، ومن أبرز تلك التحديات: نقص الوعي والتصور المتكامل عن التعليم عن بُعد، القصور الواضح في الوفاء بمتطلبات التحول من التعليم التقليدي إلى التعليم الإلكتروني والتعليم عن بُعد خاصة في المنازل، ضعف التزام الطلاب وأولياء أمورهم بمتابعة برامج التعليم عن بُعد .

وللمملكة العربية السعودية تجربة ثرية في إدارة الأزمات التي تواجه المسيرة التعليمية، ولقد ظهر ذلك جليًا في الحد الجنوبي ففي عام ٢٠١٦م تم توقيع برنامج للتعليم عن بُعد، بالتعاون بين وزارة التعليم وشركة تطوير التعليم، وصرح معالي وزير التعليم في وقتها أن تقديم هذه الخدمة النوعية في مجال التعليم يُعد واجبًا لتمكين الطلاب من مواصلة تعلمهم تحت أي ظرف، وأن شركة تطوير التعليم قامت بالتحضير لهذا البرنامج ولديها القدرات لتنفيذه على أكمل وجه للمساعدة في تقديم التعليم والخدمة في هذا الوقت خصوصًا للذين تأثروا من الأزمات .

أما بالنسبة لإدارة الأزمة التي نتجت عن جائحة كورونا فقد أعلنت وزارة التعليم السعودية إغلاق مؤسسات التعليم المختلفة منذ الثامن من مارس وفقًا للأمر السامي الكريم رقم (٤٢٨٧٤)، وتم تشكيل لجنة مُختصة في وزارة التعليم لمتابعة مستجدات انتشار وباء كورونا، وبادرت الوزارة إلى تحديد باقة منوعة من خيارات التعليم

عن بُعد لأكثر من ٦ ملايين طالب وطالبة على مستوى المملكة، وذلك بعد عشر ساعات من قرار تعليق الدراسة، ومن دون توقف للعملية التعليمية ليوم واحد، وذلك بإشراف مباشر من وزير التعليم. كما تم تفعيل منصات التعلم الإلكتروني للتعليم العام الحكومي والتعليم الأهلي، بالإضافة إلى اتخاذ العديد من الإجراءات العاجلة، ومنها :

- إنجاز مبنى المدرسة الافتراضية في أسبوع واحد، حيث تم تأثيث مقر المدرسة والبث الفضائي، وتوريد وتركيب ٢٠ سبورة ذكية، وتدريب الكادر التعليمي على تصوير المقاطع التعليمية .

- تم إعداد دروس يومية لشرح المناهج، بمشاركة ٢٧٦ معلم ومعلمة ، و٧٣ مشرف، وتم شرح ٣٣٦٨ درس، وبلغ عدد الساعات التدريسية ١٦٨٤ ساعة .

- بالإضافة إلى دروس لمراجعة المناهج بمشاركة ١٢٣ معلم ومعلمة، و٧٣ مشرف، وتمت مراجعة ١١٠٧ درس، وبلغ عدد الساعات التدريسية ٥٥٤ ساعة .

- اتبعت الوزارة تطبيق التعليم عن بُعد وفق أسلوبي التفاعل المتزامن والتفاعل غير المتزامن على النحو التالي :

  - تم تطبيق التفاعل المتزامن عبر تطبيق المدرسة الافتراضية والتي شملت منظومة التعليم الموحدة، وبوابة عين، وبوابة المستقبل، وتطبيق الروضة الافتراضية .

  - تم تطبيق التفاعل غير المتزامن عبر قنوات عين الفضائية، وقنوات دروس عين عبر اليوتيوب .

ولقد أتاحت القنوات والمنصات السابقة العديد من الخيارات للطلاب والطالبات لمواصلة التعليم والتعلم عن بُعد عبر الإنترنت أو عبر القنوات

الفضائية لمن لا تُتاح لهم إمكانيات الاتصال بالإنترنت، وشهدت تلك القنوات تفاعلاً كبيرًا من قِبل الطلاب والطالبات، وأسهمت بشكل كبير في مواصلة العملية التعليمية بنجاح، ومن تلك القنوات :

- **بوابة المستقبل** : منصة تعليم إلكتروني متكاملة لمختلف المراحل التعليمية، وتمت زيادتها أكثر من ٢٠ مليون زيارة، واستفاد من خدماتها ما يزيد عن ٧٠٠ ألف طالب وطالبة .

- **قنوات عين الفضائية** : مجموعة مؤلفة من ٢٠ قناة فضائية تشمل كافة المراحل الدراسية، وتعمل القنوات على مدار الساعة .

- **قنوات عين عبر اليوتيوب** : وهي قنوات بث مباشر عبر اليوتيوب ، وفاق عدد مشاهداتها ٦٠ مليون مشاهدة .

- **بوابة التعليم الوطنية (عين)** : حيث تقدم البوابة محتوى رقمي يحتوي على أكثر من ٤٥ ألف مادة تعليمية افتراضية، وأكثر من ٢٠٠٠ كتاب رقمي .

- **الروضة الافتراضية** : نظام تعليمي متكامل لمرحلة الطفولة المبكرة.

- **منصة مدرستي** : بعد أسبوع من انطلاق الدراسة في السعودية في المرحلة الابتدائية والمتوسطة والثانوية، قررت وزارة التعليم اعتماد منصة إلكترونية اسمها "مدرستي" والتي يمكن أن تستقبل ٦ ملايين تلميذ من مختلف الأطوار التعليمية، وتقدم المنصة أكثر من ٢٥٠ ألف فصل افتراضي يوميًا، تحت إشراف هيئة تعليمية تضم أزيد من ٥٢٥ ألف مدرس وقادة مدارس ومشرفين تربويين بالمملكة .

- **منظومة التعليم الموحد** : تحتوي المنظومة على دروس وأنشطة تعليمية رقمية في بيئة تعليمية تفاعلية بين المعلم والطالب، وتقوم منصة عين بشرح يومي للمناهج الدراسية لكافة المراحل التعليمية، وجاء قرار المملكة بتفعيل نظام "بلاك

بورد" بعد انتشار فيروس كورونا، وتوفر المنظومة مزايا عديدة للمعلمين ومنها: تسجيل حضور وغياب الطلاب، إضافة الواجبات والاختبارات والمقررات للطلاب، إعداد الدروس الافتراضية، إعداد المسارات التعليمية لمجموعة مُخصصة من الطلاب، الإجابة على استفسارات الطلاب المرسلة عبر غرف المعلمين .

وعليه أصبح موقع منظومة التعليم الموحد من أبرز الحلول المُتاحة للتعليم عن بُعد بالمملكة العربية السعودية؛ من أجل التواصل مع الطلاب ويشتمل على جميع الخدمات التي تخص التعليم بالسعودية لجميع الطلاب والطالبات، بالإضافة إلى العديد من الوسائل التي سهلت على الطلاب والطالبات استكمال مسيرتهم التعليمية بشكل ميسر .

ويتضح من هذا العرض الموجز لتجربة المملكة وجود العديد من الخيارات المُتاحة أمام طلاب وطالبات المملكة لمتابعة المسيرة التعليمية، وتقديم التعليم عن بُعد ببدائل متعددة عبر الإنترنت أو عبر الفضائيات، كما يُلاحَظ المبادرة الفورية لوزارة التعليم لاتخاذ الإجراءات اللازمة وعدم توقف الخدمات التعليمية لكافة المراحل الدراسية .

وختامًا فإن الأزمة التي يمر بها التعليم في ظل فيروس كورونا تتطلب من كل الدول أن يكون لديها نظامًا تعليميًا إلكترونيًا يتطور مع ما يشهد العالم من تطور تكنولوجي مستمر معتمدًا على ما يوفره هذا التطور من إمكانات تفيد العملية التعليمية شأنها في ذلك شأن كل القطاعات الموجودة في المجتمع، هذا النظام تتم إتاحته في الأوقات العادية كأداة مساعدة، وكأداة أساسية في أوقات الأزمات والكوارث المناخية والطبيعية أو الصحية التي يصعب معها الاعتماد على التعليم النظامي التقليدي .

قائمة المراجع

- **جريدة الشرق الأوسط. (٢٠٢٠)** : " شؤون الأسرة" السعودي يسعى إلى تخفيف آثار الجائحة داخل المنازل، العدد (١٥١٢٩)، الرياض، الخميس ٣٠ أبريل ٢٠٢٠م، متاح على الرابط :
https://aawsat.com/home/article.

- **الحداد، بسمة؛ وزكي، أحمد ناصر. (٢٠٢٠)** : البنية التحتية التكنولوجية والتحول الرقمي وأدواره المستقبلية في التعليم في ظل جائحة كورونا، الإصدار (٩)، معهد التخطيط القومي، القاهرة .

- **الدهشان، جمال علي خليل. (٢٠٢٠)** : أزمة التعليم والتعلم في ظل كورونا– الأفق والتحديات، متاح على الرابط :
https://www.new-educ.com/author/eldahshanedtech

- **الدوس، خالد. (٢٠٢٠)** : كورونا والتقارب الأسري، جريدة الرياض، متاح على الرابط :
http://www.alriyadh.com/1813155

- **سافيدرا، خايمي. (٢٠٢٠)** : التعليم في زمن فيروس كورونا: التحديات والفرص، مدونات البنك الدولي، متاح على الرابط :
https://blogs.worldbank.org/ar

- **الشرتوني، كارول. (٢٠٢٠)** : كيف تؤثر جائحة فيروس كورونا على المرأة السعودية، مدونات البنك الدولي، متاح على الرابط :
https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices

- **عقيل، مها. (٢٠٢٠)** : التداعيات الاجتماعية الوجه الآخر لأخطار كورونا، جريدة الشرق الأوسط، العدد (١٥١٥٦)، متاح على الرابط :
https://aawsat.com/home/article

- **منتـدى أسـبار الـدولي. (٢٠٢٠)** : التـأثيرات الاجتماعيـة لجائحـة كوفيـد-١٩، متاح على الرابط :

http://www.awforum.org/index.php/ar

- **المنتـشري، حليمـة يوسـف. (٢٠٢٠)** : إدارة الأزمـات والتعليم الطـارئ عـن بُعـد فـي ضـوء التجربـة الـسعودية والتجـارب الدوليـة "جائحـة كورونـا أنموذجًـا"، مدونـة "تعليم جديـد" الإلكترونيـة، متـاح علـى الرابط: https://www.new-educ.com

- **وانوشـا، إليزابيـث. (٢٠٢٠)** : أثـر فيـروس كورونـا المـستجد علـى شـؤون الأسـرة فـي الخلـيج، مركـز الدراسـات الدوليـة والإقليميـة، جامعـة جورج تاون، الدوحة، قطر، متاح على الرابط :

https://cirs.georgetown.edu/ar/news-analysis

- **وكالــة الأنبــاء الــسعودية "واس". (٢٠٢٠)** : فيـروس كورونـا: الـسعودية توقـف صـرف بـدل غـلاء المعيـشة وترفـع ضـريبة القيمـة المضافة، متاح على الرابط :

https://www.bbc.com/arabic/business

- **اليـوم الـسابع. (٢٠٢٠)** : حقوقيـات كورونـا تـسبب فـي ارتفـاع العنـف ضـد المرأة والطلاق وجرائم القتل بالخليج، متاح على الرابط:

https://www.youm7.com/story